التيار الثوري الواقعي لقي بدوره التأييد من أوساط يمينية ويسارية ، ومن بينها أوساط كانت تدير سياسات استسلامية تخاذلية تجاه العدو . وبالطبع فان هذه الملاحظة لا تنفي حقيقة أن التيارين ، كليهما ،انطلقا نتيجة عوامل وظروف موضوعية ، ووفق تصور لنهج ومستقبل العمل الوطني يخص كلا منهما ، ومثل ، في كل حالة من الحالتين ، مصالح هذه الفئات أو تلك من فئات الشعب العربي الفلسطيني العديدة .

والحوار الذي نشط بعد حرب تشرين على الساحة الفلسطينية عكسته مئات الوثائق التي وضعها الفرقاء الذين انخرطوا فيه ، فضلا عن المناقشات الشفهية التي شهدتها مؤتمرات واجتماعات الهيئات القيادية والكوادر في مؤسسات منظمة التحرير ، وفي المنظمات الفدائية والسياسية الفلسطينية كافة ، مما لا يمكن حصره أو حتى استقصاؤه بشيء من التفصيل . ولذا فاننا سنتمسك بالتقصي عن الخطوط الرئيسية للحوار ، كما عكستها بعض الوثائق الرئيسية ، مما يمكن اعتبارها نماذج كافية لعرض وجهات نظر الفرقاء المعنيين . وسيظل هدفنا هو رصد خطوط التطور في الفكر والممارسة كما تعكسهما الوثائق .

بينما كانت مساعي التسوية ناشطة على أشدها في أعقاب الحرب ، احتدم على الساحة الفلسطينية الحوار بين التيارين اللذين وصفناهما آنفاً ، ليفرز في نهاية المطاف كتلتين تنظيميتين ، تضم أولاهما كلا من فتح والجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين والصاعقة ، في حين تضم الثانية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الشعبية ـ القيادة العامة والجبهة العربية لتحرير فلسطين وجبهة النضال الشعبي . واستنفر كل تكتل لتعزيز وجهة نظره امكانياته كلها بما في ذلك تحالفاته وصلاته العربية والعالمية ، مما جعل الكتلتان تتوزعان قوى الساحة الفلسطينية بأسرها في الأراضي المحتلة وفي المهاجر . أما التدخلات العربية فقد صار لها هي الأخرى دورها في تأزيم الحوار وفي الدفع نحو تمايز الكتلتين وتوتير العلاقات بينهما . وعلى ضوء ذلك اتخذ الحوار في حالات عديدة أشكالا حادة بما في ذلك الاحتكاكات المسلحة التي وصلت في بعضها إلى حافة الانفجار[٢] .

بروز وزن المناطق المحتلة

كان المجلس الوطني قد قرر في دورته الحادية عشر (ك ١٩٧٣،٢) تشكيل « الجبهة الوطنية الفلسطينية في الأرض المحتلة »[٣] وجرى تشكيلها تحت هذا الاسم بمبادرة من الشيوعيين الفلسطينيين ، الذين يشكلون في الضفة الغربية المحتلة واحدة من منظمات « الحزب الشيوعي الأردني » بالاتفاق مع التنظيمات الفلسطينية . الفدائية والسياسية كافة ، كما انضم اليها أيضاً عدد من الشخصيات الوطنية ، السياسية والاجتماعية .

وتشكيل الجبهة على ذلك النحو اعتبر تتويجاً لسلسلة سابقة من المحاولات الناجحة أو المخفقة ، من اجل تنظيم العمل المشترك للقوى التي تقاوم الاحتلال داخل الأرض المحتلة . وهو الذي أظهر ، في الوقت نفسه ، التقارب المتحقق بين مواقف هذه القوى . وهو تقارب أملته ، من جهة ، ظروف المجابهة المباشرة واليومية للاحتلال ، كما أملاه بصورة خاصة ما قدمته تجربة هذه المجابهة من دروس فكرية وسياسية ، جعلت الاتجاه نحو الثورية الواقعية ، في مقابل الرفض ، هو الذي يتعزز ويسبق تعزز مثيله خارج الأرض المحتلة . وعلى سبيل المثال ، فان